الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

خطبة جمعة

فوادح العقيدة

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله الذي كان بعباده خبيرًا بصيرًا، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾، والصلاة والسلام على عبد الله المصطفى ورسول الله المجتبى ونبي الله المرتضى، وعلى آله وأصحابه ومن به مهتدى.

عباد الله، إن من أوضح القضايا وأجل الموضوعات في الإسلام قضية الاعتقاد السليم والتوحيد الخالص والإيمان الحق لله عز وجل، الحق سبحانه وتعالى، وإن هذه القضية على وضوحها وكمالها وأهميتها لم تلقَ اهتمامًا كثيرًا من المسلمين. إن الدين من أوله إلى آخره يسعى إلى تعزيز معاني الإيمان، رباط المسلم بربه، والمخلوق بخالقه، والمربوب بربه.

فالصلاة أذكارها تمجيد وتسبيح وتكبير وتهليل، وحركاتها خضوع وذل وافتقار وانكسار لله عز وجل، وتبلغ الصلاة قمتها عند إرغام الأنوف ذلًّا لله بالسجود، وذلك بأشرف الأعضاء، وهي الوجه.

وإن البشرية اليوم لما فارقت التوحيد الخالص والإيمان الصحيح إذا بها تغرق في أوحال الجاهلية وفوضى المادية. الزكاة تحقق عبودية القلب والانسلاخ من عبودية المألوفات والمحبوبات والشهوات: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾. ولذلك اعتبر الإسلام منع الزكاة شركًا: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾، وبالتالي إخراج الزكاة توحيد وعبادة.

أما الحج فإنه يجسد التوحيد، بدءًا بمناسك الحج وشعائره. فيه دعاء وضراعة ووقوف، قمته أن تدعو الله باكيًا، وأن تتضرع إلى الله وجلًا وخائفًا، وأن ترجو الله وأن لا ترجو سواه.

وبالتالي التوحيد هو كل الدين، إنه الملة، وإنه أساس الشرع، وإنه دعوة الرسل: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

إن صراع الرسل والأنبياء مع أقوامهم، وإن قضية الإسلام مع الحضارة الغربية المعاصرة هي قضية التوحيد، وإن التوحيد عند المسلمين من أوضح المسائل التي لا لبس ولا غموض فيها، لأنها تعني علاقة مع الله بغير تعقيد، ولا واسطة قسيس ولا واسطة شيخ ولا ولي ولا صالح. وبالتالي تظل قضية التوحيد قضية حية: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

وإن القرآن من أوله إلى آخره بيان للتوحيد وحث عليه، وبيان للشرك ونهي عنه. إن قضية التوحيد من القضايا الواضحة التي لا لبس ولا غموض فيها في الثقافة الإسلامية، الواضحة: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله». ليس عندنا قسيس نعترف بين يديه ليغفر لنا، إن الذي يغفر لنا هو الله جل جلاله: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾.

إن التوحيد يعني أن ندعو الله. الإسلام يريد مسلمًا قد تخلص من أوهام الخرافات والتعلق بغير الله عز وجل، فنهى الإسلام عن الطيرة، لأن هذا يعني أن نسبة النفع والضر إلى غير الله، لا أحد ينفعك ولا أحد يضرك، الأمر كله بيد الله عز وجل.

ولكن يؤسفني أن أقول أيها الأحبة إن واقع التوحيد في ديار المسلمين يحتاج إلى تصحيح ومراجعات، وإلى تقويم وتوجيه وإرشاد. إن واقع التوحيد في بلاد المسلمين مر، ولذلك سوف أختصر الحديث عن قوادح التوحيد.

وإن من جماليات التوحيد ألا تبغي بغير الله بدلًا، وأن تلجأ إليه في كل أمورك، وحتى في خلجات فؤادك، ألا تعتقد أن أحدًا بيده الملك والتصريف والكون والعطاء والمنع والملك والعزة والكبرياء والسؤدد والعلو إلا الله جل جلاله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾، ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾. الأمر كله بيد الله.

وإن من أعظم قوادح التوحيد تقديس البشر، وهي بلية البشرية في الأولين والآخرين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، دعوة مكشوفة، وشعار مفضوح فضحه القرآن. وإن أسوأ الفرق في تقديس البشر النصارى الذين كفرهم الله في عيسى عليه السلام، وإن من المسلمين من يتخذ من هو دون عيسى معظمًا ومجلًّا ومقدسًا ومؤلهًا، بل لا يكاد يخالفه، وهذا من أسوأ أنواع العبودية.

إن عبودية تقديس البشر واللجوء إليهم هي من أسوأ أنواع الشرك، بل ما دخل الشرك في الأمم قديمًا من عهد نوح: ودّ الذي كان رجلًا صالحًا، وسواع ويغوث ويعوق ونسر، الذين كانوا أهل خير وأهل فضل، ولكن الناس يعظمون الأولياء ويعظمون الشيوخ. دع ذلك، اعتبرهم أنبياء كعيسى عليه السلام، لا يجوز تقديسهم. لماذا كفر الله النصارى؟ قدسوا عيسى من عبودية إلى ربوبية، والربوبية لواحد لا يشارك فيها لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا ولي صالح. على الناس أن يصححوا العقيدة.

إن بعض الناس يقف بين يدي شيخه ذليلًا منكسرًا خاشعًا وجلًا، وقوفًا لا يقفه بين يدي الله في غلس، في غسق الدجى، ولا في الأسحار. إنه يعظم الشيخ، يخلع النعل، يبرك بين يديه، يقبل اليد، وبعضهم يحبو على الأرض لشيوخ يفعل لهم ذلك.

نحن نقدر أنك تحب أهل الخير، وأنك تحبهم للعلم والصلاح الذي تظن وتزعمه فيهم، لكن هذا لا يقتضي أن تخرج الاحترام إلى التقديس، ولا الحب إلى التأليه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.

ثانيًا: إن من الممارسات السيئة التعلق بالشكليات والأستار والأحجار، ودعاء الأموات واعتقاد النفع الكامل والضر التام منهم، والقرآن يعلنها صريحة: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا * وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا * قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾. إن التوحيد واضح وصريح في القرآن، فإياك أن تعتقد أن التدبير والتصريف والملك بيد أحد غير الله.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ...﴾، ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.

أين التدبير؟ وأين الملك؟ وأين التصريف؟ كله بيد الله عز وجل، الفعال لما يريد. أسأل الله تعالى أن يعلمنا وإياكم توحيده، وأن يفقهنا وإياكم في الإيمان الذي هو أجل شيء وأهم مرتكز، أسأل الله ألا يميتنا إلا على عقيدة صافية وإيمان صحيح واضح، أجل ما نلقى الله عز وجل به، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. من أسوأ صور الاعتقاد أن تسلم فكرك لغير الله. إذا سجدت لغير الله عبدت غير الله أشركت، ولو أنك أسلمت فكرك لبشر أشركت: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

كم من مفكر في بلادنا يخالف الشرع الواضح والنصوص الصريحة، وله أتباع يدافعون عنه. إن كنت مخطئًا صححوني، لا أدعي العصمة. لا يوجد بشر في وجه الدنيا يستحق أن تسير خلفه أعمى بغير تردد إلا واحد اسمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم، غير ذلك لا يجوز.

﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾، لا يجوز لأحد أن يطاع، ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، مشركون في الطاعة. ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾. أليس هذا قادحًا من قوادح التوحيد؟ العلماء والأمراء، بل ولو سلمنا أنهم قمم ومن الصالحين، لا يجوز لأحد أن يتبع أحدًا في باطل إلا صار عابدًا له.

أتساءل: المفكر الذي طرح أفكارًا كثيرة، أنكر عذاب القبر، أنكر الدجال، يأجوج ومأجوج، أنكر نزول عيسى، قال بإمامة المرأة، أنكر أن المرأة مخلوقة من ضلع أعوج، أنكر أن النساء ناقصات عقل ودين، أنكر أن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، أنكر مسائل كثيرة من الشرع. أتباعه، هل كانوا يعتقدون هذا قبل أن يقول هو هذا الكلام؟ هل كانوا يعتقدونه؟ ما سمعناه، كانوا ساكتين، لمجرد أن نطق الشيخ بالكلام صاروا يدافعون عن هذا الكلام. ما هذا الهراء؟ ما هذه العبودية الصارخة؟ ما هذا التقديس المخل؟

هل يوجد بشر غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد قوله؟ لا يرد قوله أبدًا. إنه عند أتباعه لا يرد قوله، وهذا إن دل إنما يدل على أنهم يعبدونه، وأنا أستدل بقول الله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. هذا موجود الآن، عبادة غير الله عز وجل بالفكر والانقياد الأعمى لشخص.

يقول لك الشيخ لا يسأل، يا أخي اسأله، يقول لك لا يسأل. ليه؟ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾، هذا واحد، هو رب العباد جل جلاله.

هذا من صور الممارسات الشركية، من أسوأ صور الممارسات الشركية: إتيان الكهنة والعرافين، والتعلق بالأوهام، وربط التمائم، وتعليق الخرز، في عربية، في بيت، من أجل دفع الضر. هذا لا يدفع الضر: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾، ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾. لا ينفع ذلك، لا ينفع ذلك، هذا موجود كثير.

إذا كانت فرح وإكرام وكرامة لوجه الله، من باب أن الله أعطانا، ومن باب التوسعة على العيال، يجوز. لكن لو الزول اعتقد أنه كان ما ذبح بتحصل مصيبة كبيرة في العربية وفي البيت، هذه عبادة الجن، ولا أشك في هذا. ليه؟ طيب عشان أوريك المسألة في عقيدة، الدم بين الصفوف العربية ليه؟ مش كرامة لوجه الله؟

يشكر الله على أنه أنعم عليه، يقول: يا الله، لأنك أنعمت علي ورحمتني، أنا أريد أن أتصدق على خلقك وعبادك، شكرًا لك، ده توحيد. لكن يقول لك إلا دم، وكان ما ذبحته، بعد يومين العربية عملت حادث، يقول لك ما قلنا لك، يا أخي ما كلمناك؟ أنت راسك قوي.

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. لا بد من التوحيد، التوحيد هو أساس كل إصلاح، وأساس ومرتكز كل دعوة، وبهذا جاء الرسل، ينبغي أن يعرف الإنسان بربه، لتستقيم حياة الإنسان مع خلق الله، أخلاقًا ومعاملة كريمة.

أسأل الله أن يرد الجميع إليه ردًا جميلًا. اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم. اللهم إنا نسألك ونضرع إليك ولم نسأل من البشر أحدًا غيرك يا رب العالمين. اللهم إنا نسألك أن تجعل بلادنا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين، اللهم أنعم علينا بالعفو والعافية والستر والإيمان يا رب العالمين.

اللهم احفظ بلادنا واجمع كلمة أهل السودان في ديارنا. اللهم كما أغثت بلادنا بالمطر والغيث المدرار أغث قلوبنا بالإيمان يا رب العالمين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا وأعطنا ولا تحرمنا يا رب العالمين، وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/فوادح-العقيدة/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com